مستشفى المؤاساة

معهد قومي انساني [1]

قد تستغرب اجتماع القومية والانسانية في معهد واحد . ولكن اذا شئت ان ترى هاتين النزعتين ممثلتين في قالب خالص من الفن والعلم والخدمة العامة فعليك بزيارة مستشفى المؤاساة في الاسكندرية . بل اذا شئت ان ترضي ما يجول في صدرك من عزة قومية ، ورحمة وحنان ، فابذل في سبيل مستشفى المؤاساة ما تستطيع . فهو معهد صحي مصري ، يفاخر به في اي بلاد من بلدان الله . وهو منشأة قومية يصح ان تكون مدرسة ومثلاً للملتقات القومية النافعة في الشرق ، القائمة على الرحمة والايثار والتعاون

كانت جمعية المؤاساة الاسلامية ، تعنى بجمع المال من المحسنين لتوزعهُ على الفقراء والمساكين فرأت بعد ممارسة هذا الغرض الشريف بضع سنين ان تنشىء مستشفى يكون ملاذاً وموئلاً لمرضى البائسين وعملاً قومياً ينهض امام مستشفيات الجاليات الاوربية دليلاً على تنبّه الامة المصرية الى المطالب الانسانية العليا وسخائها في سبيل تحقيقها ، ومثالاً للمشروعات العظيمة التي تقوم بها الجماعات الخيرية الاهلية . وقد احسنت الجمعية في قرارها ان لا يقتصر المستشفى على المصريين بل يرحب « بمعالجة من يدخل فيهِ من الاجانب على اختلاف اجناسهم وديانتهم اذ ان الانسانية لا تعرف الفوارق ولا تميز بينها » — تقرير ١٩٣١ صفحة ٦ — فندب الدكتور احمد النقيب الجرّاح الاسكندري للذهاب الى اوربا وزيارة المستشفيات لاختيار اصح نموذج منها يصلح لمدينة مصرية كبيرة كالاسكندرية فزار انكلترا وفرنسا وألمانيا والنمسا وعاد بتقرير في مسهب اقرت الجمعية مبادئهُ وأقدمت على تحقيق غرضها ، وهي لا تملك الاّ الايمان بالله والاخلاص للوطن وللانسانية ، والثقة بأن جلالة مليك البلاد وحكومتهُ والشعب المصري والجاليات الاجنبية تؤيدها في هذا العمل النبيل

***

يرى الانكليز ان بناء المستشفيات ، يقتضي السخاء في الانفاق عليها ، فاذا كان المال المرصود لبناء مستشفى ما قليلاً يحتم عمل حساب لكل نفقةٍ كبيرة وصغيرة ، تخير في نظرهم ان لا ينفق

(١) يشكر كاتب هذه السطور لصاحب العزة محمد فهمي عبد المجيد بك رئيس جمعية المؤاساة وسعيد جبعي افندي سكرتير الجمعية ان اتاحا له زيارة المستشفى ويخص بالشكر الدكتور احمد النقيب الذي رافقه في هذه الزيارة يومين متواليين بسطا له كل ما جل ودق من شؤون المستشفى الهندسية والصحية

ذلك المال في بناء مستشفى . وذلك لان الاساس عندهم في بناء المستشفيات ، الطبيات المالية الكبيرة والرخاء في اختيار المعدات ومواد البناء والاثاث . قيل ان احد الاغنياء الانكليز وهب مستشفى مدلسكس ثلاثمائة الف جنيه ، لبناء جناح خاص بالممرضات ، ورأيهُ في ذلك ان عمل الممرضة من اشق الاعمال وأدقها ، فاذا لم تكن مرحة النفس ، هادئة الاعصاب لم تستطع ان تقوم بعملها ، على خير وجه . واشترط ذلك الواهب ، ان يكون لكل ممرضة حجرة خاصة للنوم وأخرى للاستقبال ، وان يحق لها ان تستقبل من تشاء في حجرتها الخاصة . فصعبت ادارة المستشفى بكل الشروط الا الشرط الاخير ، واقترحت ان تمنح الممرضة حق استقبال من تشاء في بهو عام خاص بالاستقبال ، وقالت للواهب انهُ اذا رفض تعديل هذه الشروط اضطرت الى رفض الهبة . فقبل

والخلاصة ان الانكليز يحسبون ان نفقات بناء المستشفى تكون بوجه عام بواقع ١٥٠٠ جنيه للسرير الواحد . اي ان انشاء مستشفى فيه ٥٠٠ سرير يكلف نحو ٧٥٠ الف جنيه . غير ان الالمان وجّهوا عنايتهم بعد الحرب ، الى بناء مستشفيات تجمع مزايا المستشفيات الانكليزية ، ولكن لا تقتضي مثل نفقاتها . فبنوا مستشفى مارتن لوثر في برلين ، فبلغت نفقاته بواقع ٣٥٠ جنيهاً فقط للسرير الواحد . وهو آخر ما بلغهُ فن بناء المستشفيات الحديثة ، من الاتقان وتوافر الشروط التي يقتضيها العلم والفن وقلة النفقة . وعلى مثاله بني مستشفى المؤاساة في الاسكندرية . بل ان مهندس مستشفى مارتن لوثر نفسهُ — ارنست كوپ — هو الذي وضع تصميم مستشفى المؤاساة وأشرف على بنائهِ

كان الرأي من قبل متجهاً الى جعل المستشفيات مباني متفرقة كل بناء خاص بعرض من الامراض ، او بطائفة متلائمة منها ، وذلك لكي يتوافر للمريض في البناء الصغير ، ما لا يتوافر لهُ عادة في البناء الكبير : من نور الشمس والهواء الطلق . ولكن تقدم علوم الطب الحديث ، وأساليب المعالجة ، جعل حتماً ارتباط المباني بعضها ببعض ، اذ من المحتم على المريض الواحد ، في غالب الاحيان ان ينقل الى جهاز العلاج بالاشعة ، لتصوير عضو من اعضائهِ بالاشعة السينية ، او لتعريضهِ للاشعة التي فوق البنفسجي ، او لتحليل دمهِ او بولهِ ، او فحصهِ بآلات خاصة ثابتة لا يمكن تنقيلها . ومن الاسراف الذي لا مسوّغ لهُ ، ان يكون في كل بناء من مباني المستشفى المتفرّق ، جميع هذه الادوات ، والخبراء الذين يستعملونها . لذلك نشأت فكرة انشاء المستشفى الحديث في بناء واحد ، تكون اجزاؤهُ المختلفة ، كالاعضاء في الجسم مترابطة منتظمة في وحدة شاملة وعهدوا الى المهندسين ، في تحقيق هذه الغاية بلا تفريط في ما يحتاج اليهِ المريض من النور والهواء والراحة . فكان مستشفى مارتن لوثر في برلين ، ومستشفى المؤاساة في الاسكندرية ، مثالاً لهذا الاتجاه الجديد . ومما يدلك على خطورة هذا الاتجاه ، ان مستشفى « غرانش بلانش » في ليون — وهو من اكبر المستشفيات في فرنسا وقد بلغت نفقاتهُ نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات — كان قد بدئ انشاؤهُ قبل الحرب على اساس اجنحة متفرقة ، وفقاً للرأي القديم ، فلما بدت للمجلس

ادارته : مزايا البناء الواحد كما اوجزناها ، وعزَّ عليهم هدم مبانيه جميعاً ، وحدّدوا بينها ، بانفاق واسراب تحت الارض حتى يستطاع ، نقل المريض في سريره ، بالمصعد آناً ودرجاً في الانفاق آونةً ، من بناء الى آخر ، وفقاً لما تقتضيه اساليب العلاج الحديث

***

يقوم مستشفى المؤاساة على اكمة ، ترتفع نحو ١٨ متراً عن سطح البحر في بقعة تطل على بطيحة الحدراء وهي من اجمل بقاع الاسكندرية واصلحها لاقامة المستشفيات حيث الفضاء متسع والهواء نقيٌّ والراحة موفورة لبُعد البناء عن ضوضاء المدينة وجلبة شوارعها

يطالعك المسرح ، على كتف الاكمة فيروعك ما يتجلى في خطوطه من البساطة والجلال . طولهُ مائة وعشرة امتار ، وعلوهُ ٥٤ متراً ومساحة الارض المبنية ٣٠٠٠ متر مربع ، ومساحة حرمه ٣٠٠٠٠ متر مربع وينتظر ان يحوَّل الى حديقة غنّاء . فاذا اقتربت منهُ استقبلك مدخل فخم ممدَّد ، وابواب ثلاثة علوّ الباب منها ستة امتار مصاريعها من الحديد والبرونز المخرّم ، كأنها قطع من الدنتلاّ في دقة صنعها ، تدخل بها الى بهو ، فترى في الجدار الجنوبي الذي يقابلك عند الدخول مكاناً ينتظر ان يزيَّن بصورة زيتية لجلالة الملك وحواليها على الجدران الثلاثة اماكن لصور اخرى شخصية ورمزية ، منها صور امنحوتب وابن سينا وكلوت بك . والى يمين هذا البهو ردهة فخمة خاصة باستقبال جلالة الملك وتقابلها ردهة لاجتماع مجلس الادارة

والبناء ثمانية ادوار ، احدها تحت الارض وآخر على سطحها وستة فوقها . اما الدور الارضي ، فدوّران في الواقع وفيهما الآلات والماكنات اللازمة لتوليد البخار ، والانابيب المجاري والاسلاك وما الى ذلك . ومما يدلك على عناية المهندس العظيمة ، جعلهُ المجاري والانابيب مكشوفة بدلاً من ان ان تكون مطمورة في الارض لكي تسهل مراقبتها والسيطرة عليها اذا وقع خلل فيها . ويوزَّع البخار بانابيب ومواسير على المطابخ والمغاسل او على مرجل ماء كبير يموّن المستشفى بما يحتاج اليهِ من الماء الساخن لتدفئة الغرف وللاستعمال في مرافق المستشفى العامة . وفي هذين الدورين كذلك ماكنات التبريد ، وهي لازمة للمستشفى لتبريد الثلاجات في المطابخ ، والغرف الخاصة بحفظ الجثث اذا لزم حفظها ، ولتبريد غرف المرضى متى اقتضى الجوّ او العلاج ذلك . وماكنات التبريد تصنع ثلجاً قد لا يحتاج المستشفى الاّ الى قدر يسير منهُ ، ولكن ادارتهُ اتفقت مع بعض الشركات على شرائهِ منها ، وسوف يكون بيعهُ مصدر ايراد لا بأس بهِ لادارة المستشفى

وفي المستشفى مولّدان (دينامو) للكهربائية احدها قوتهُ ١٦٠ حصاناً والآخر ١٠٠ حصان فاذا تعطّل الواحد استعمل الآخر ، واذا تعطّل الاثنان — وهو مستبعدٌ — استطاع المستشفى ان يستمدَّ القوة الكهربائية من شركة لبون او شركة سكة حديد ارمنت . ولما كانت لجنة المستشفى تعنى عناية خاصة في اقتصاد كلّ ما يمكن اقتصادهُ من نفقات العمل ، ابتاعت مكنسات وبطاريات

خازنة للكهربائية ، حتى اذا كان التيار التجاري رخيصاً ، أُخذ وخزن واستعمل حين الحاجة اليهِ

وفي هذين الدورين كذلك آلة تجذب الهواء من ملجوّ الطلق فوق المستشفى وتنقيهِ بعصفاة من الزيت وتصفيهِ من الغبار والرطوبة ، ثم تمنحه القدر المطلوب من الرطوبة والدرجة المعيّنة من الحرارة او البرودة التي يحتاج اليها المرضى ، وتدفعهُ في انابيب خاصة بذلك الى الغرف

ولما كان نقل المريض بسريرهِ من حجرتهِ الخاصة الى حيث يعالَج او يفحص ، من ضرورات المستشفيات الحديثة ، كان كل باب من ابواب المستشفى على الاطلاق يتسع لكل سرير في المستشفى . فبدلاً من ان يرفع المريض على نقالة ويسار بهِ الى حيث يقتضي العلاج ، يدرج سريرهُ من غرفتهِ الى الممرّ او الى المصعد (الاسانسور) فيؤخذ الى غرف العلاج ، او يهبط بهِ الى الدور الارضي فينقل بسريرهِ الى الحديقة ، او يصعد بهِ الى السطح للمعالجة باشعة الشمس الطبيعية . ولكي تستتبّ للمريض جميع وسائل الراحة ، لا ترى غرفة من غرف المرضى ولها نافذة تطلّ على ممرات المستشفى ، بل لكلٍّ منها بابٌ كبير وشرفة تطلّ على الشمال الغربي او الشرق الشمالي . ومبالغة في الحرص على راحة المريض ، جعل كل باب يطل على الممرّات في حجر المرضى ، مزدوجاً وبين المصراعين نحو نصف متر من الفراغ فتتم للمريض الراحة التامة من الجلبة او الانين . اما الهواء فيدخل من ثقوب في أعلى جدار الغرفة ، ويفتح القسم الاعلى من باب الشرفة ، بطريقة تسهّل التهوية ، من دون ان يحدث تيّار من الهواء ، قد يصاب المريض منهُ بقشعريرة . بل اذا ضغط المريض على زرّ ، لا يقرع جرساً ، ولكنهُ ينير نوراً فتهبُّ اليهِ الممرضة . ومن غريب ما رأيناهُ في هذا الباب في مستشفى المؤاساة ان في غرفة الممرضة مصباحاً ينبهها بنورهِ الى ان مريضاً يدعوها ، فتهبُّ الى نجدتهِ . وعند دخولها تضغط زرّاً خاصّاً بين بابَي الغرفة فاذا دعاها مريض آخر وهي تعنى بالاول ، لم ينر المصباح في غرفتها ، بل في غرفة المريض الذي تعالجهُ ، فتعرف ان مريضاً آخر يدعوها . وأعجب من ذلك ، ان في غرفة القهرمانة لوحة تدوّن من تلقاء نفسها ، دعوة كل مريض ووقتها ، وتلبية كل ممرضة ووقتها ، فتستطيع ان تعلم في لمحة واحدة ، وبطريقة لا تقبل الخطأ ، المتوانية من الممرضات في القيام بما عليها

اسرّة المرضى في المستشفى ٤٥٠ سريراً ، ٤٥ منها للدرجة الاولى و ٩٠ للدرجة الثانية و٣١٥ للدرجة الثالثة ، وهذه الاخيرة مجانية جميعاً . واذا اقتضت الضرورة امكن زيادة الاسرّة الى ٦٠٠ سرير . ولهُ عيادة خارجية تتسع الآن لنحو ٤٠٠ او ٥٠٠ مريض كل يوم . وانما تنوي الجمعية ان تقيم في المستقبل عيادة خارجية تتسع لنحو ٤٠٠٠ مريض كل يوم . وكل غرفة من غرف المرضى مزدوجة السقف والجدران والارض والابواب . وتحتوي كل غرفة من غرف الدرجة الاولى على سرير واحد ، وكل غرفة من غرف الدرجة الثانية على سريرين ، وكل غرفة من غرف الدرجة الثالثة على ست اسرّة او اقل . بيد ان اللجنة ادركت انهُ اذ تقلت وطأة المرض على مريض ما واحتاج الى عناية خاصة ، استوى عند ذلك المريض الغنيُّ والمريض الفقير ، فينقل مريض الدرجة الثالثة الى

غرفة خاصة فيها سرير واحد ، وينال من العناية الخاصة ما يالهُ المريض الغنيُّ . وفي أجنحة الدرجة الثالثة خمسون غرفة في كل منها سرير واحد فقط

خمسة من ادوار المستشفى الثمانية مخصصة للمرضى فالدور الاول خاص بالامراض الباطنية للرجال والثاني بالامراض الباطنية للنساء والاطفال والدور الثالث بامراض النساء والولادة وجراحتها والرابع والخامس بجراحة الرجال . وفي الدور الأرضي صيدلية كبيرة ومعمل للتحليلات الكيمائية والبكتيريولوجية وكلاهما مجهّز بادق واحدث الاجهزة الكيمائية والبكتيريولوجية . وفيهِ كذلك ردهة واسعة للاجتماعات والمحاضرات العلمية . اما الدور السادس ففيهِ المطبخ والحمامات الشمسية وسكن الممرضات المبتدئات اللواتي يتلقين فن التمريض نظراً وعملاً ، ولكل منهنَّ حجرة خاصة فيها سرير وخزانتان وماءٌ جارٍ بارد وساخن . وكل دور من ادوار المرضى مؤلف من اربعة اجنحة ، جناح للدرجة الاولى وثانٍ للدرجة الثانية ، اما الثالثة والرابعة فللدرجة الثالثة . وحجر المرضى كلها في مقدمة البناء ، اما حجر المؤخرة فلسكن المرضى والعمليات الجراحية على اختلافها ، وقسم العلاج بالاشعة وقسم خاص بعزل المرضى المصابين بحميات معدية

وتشتمل مرافق المستشفى ، من مطابخ ومغاسل على احدث الوسائل وأكثرها اتقاناً . المطبخ على السطح ، وجميع أدواتهِ كهربائية . تُرفع اليهِ مواد الغذاء من لحم وخضار ولبن بمصعد كبير ، فيطبخ الطعام بحسب ما تطلبه الممرضة المختصة في كل دور من ادوار المستشفى ، وهو متصل بمصاعد خاصة بمطابخ صغيرة في كل دور ، وفيهِ غرفتان باردتان لحفظ مواد الغذاء وفي كل منها انابيب خاصة للتبريد والتهوية وجميع ادواتهِ كهربائية . وكل مطبخ من المطابخ الصغيرة يحتوي على ثلاجة لحفظ الطعام فيها ، وجهاز آخر لحفظ الطعام الساخن ، وما تحتاج اليهِ الممرضة من ادوات المطبخ لاعداد ما يقتضيهِ بعض المرضى من طعام خاص يحتاجون اليهِ فجأة . اما المغاسل والمناشر والمكاوي ، حيث يغسل بياض المستشفى ويكوى فجامعة لاحدث الوسائل العلمية

***

اما اجنحة العمليات الجراحية فآية من آيات العلم الحديث . وهي في ثلاثة ادوار ، كل دور منها يحتوي على حجرتين للعمليات بينهما حجرة للتعقيم مجهزة باحدث الادوات ، ومنها معقم autoclave المماني جديد يفرغ من الهواء ، ثم ينفث فيهِ البخار من أعلى الى أسفل في حجر منفصلة احداها عن الاخرى ومتساوية جميعاً في ضغط البخار فيها ، فلا يبقى اي احتمال لاشتمال كرة من الهواء الحامل للجراثيم داخل المعقم . ثم هناك حجرة للغسل مجاورة لكل حجرة من حجر العمليات ، بينهما نافذة واسعة ، يستطيع الجرّاح ان يراقب المريض منها وهو يطهر يديهِ بعد اتمام العملية . ومصباح حجرة العملية لا ظلَّ لهُ واذا انطفيء لحادث مفاجيء في التيار ، والجرّاح يعمل العملية انار مصباح آخر — انارة اوتوماتيكية — يستمد تياره الكهربائي من بطارية كهربائية

خازنة تكفي لانارة المصباح ثلاثة ساعات . وقد بنيت غرف العمليات ، حتى يستطاع عمل العمليات فيها على ضوء النهار — وهو في الغالب غير مستحسن، لانهُ يجيء من ناحية واحدة ويلقي ظلالاً على جسم المريض — او على الضوء الكهربائي . فاذا تبين ان الضوء الكهربائي هنا مفضل على ضوء النهار ، لانهُ يقع وقوعاً عمودياً على جسم المريض ، اقفلت النوافذ اقفالاً محكماً يمنع سود لا تنفذها شعاعة نور . ومن آيات قسم الجراحة غرفة للعمليات فيها جهاز للاشعة السينية . ذلك ان الطبيب اذا شرع في عملية لاستخراج مادة صلبة دخلت جسم المريض ، اهتدى الى مكانها بصورة الاشعة السينية . ولكنهُ احياناً قد يضلُّ مكانهُ ، ويتعذر عليهِ نقل المريض ثانية لتصويره بالاشعة السينية وهو تحت المشرط فتستعمل الاشعة السينية مباشرة لتهدي الجرّاح الى ضالتهِ . وقد قيل لنا ان في اوربا الوسطى لا توجد الاَّ حجرة واحدة من هذا القبيل وهي في مستشفى بهيدلبرج بجنوب المانيا . ويقابل غرف العمليات غرف التخدير وغيرها مما يحسب مكمّلاً لها

اما قسم العلاج بالاشعة — وقد تبرع بنفقاته البالغة ٤٠٠٠ جنيه المستر رينهارت التاجر الانكليزي بالاسكندرية — ففيهِ أحدث الاجهزة لهذا الغرض، وهو حجرتان رئيسيتان بينهما حجرة صغيرة تجلس فيهِ الممرضة المختصة بهذا العمل ، بعد ما تضع في كل منهما مريضاً ، وتعين لها قوة الاشعة التي يتعرّضان لها . وفي حجرة الممرضة وسائل دقيقة تمكنها من وقاية نفسها ، لانهُ اذا قويت الاشعة النافذة من بابي الحجرتين او احدهما ، الى حجرة الممرضة تعرضت للخطر ، وهذه الزيادة تستطيع ان تتبينها في الواح زجاجية خاصة بتغير لونها اذا زاد النافذ من الاشعة عن قوة معينة . وعندئذٍ تخفف التيار او توقفهُ بأزرار . وجدران حجرتي العلاج بالاشعة ، وحجرة العمليات الجراحية التي فيها جهاز الاشعة السينية مبطنة بالرصاص والباريوم منعاً لاختراق الاشعة لها

***

جمعت جمعية المؤاساة معظم نفقات المستشفى من الاهلين عن طريق « اللوتريات والانصبة » التي نظمتها ، ومن هبات اهل الخير . ومما هو جدير بالذكر ان الاجانب كانوا كراماً أسخياء في تعضيدها ففتحها المستر رينهارت بأربعة آلاف من الجنيهات والمستر فني بألف والمسيو كوتسيكا بعصر بألف والمسيو دفسير بألف . وقد بلغ ما تبرع بهِ الاجانب لها نحو عشرة آلاف جنيه . واننا لنأسف ان الوطنيين لم يجاروا الاجانب في ذلك حتى الآن . فان الجمعية لم تدن هبةً من وطني تزيد على مائة جنيه ومجموع هباتهم قد لا تزيد على الف . ونحن نعلم ان ذلك ليس لتقصير اغنيائنا في السخاء على المشروعات الخيرية ، ولهم في ذلك آيات ، بل اننا نثق انهم اذا علموا ان مستشفى المؤاساة ، مفخرة علمية واجتماعية لمصر وللقومية المصرية ، بادروا الى تعضيدهِ بكل ما يستطيعون ، فيرضون بذلك شعورهم الوطني ، ونزعتهم الانسانية السامية

فؤاد صرّوف